جامعة ديالى

كلية التربية للعلوم الانسانية

قسم الجغرافية – المرحلة الرابعة

المادة – الجغرافية السياسية

مدرس المادة – الدكتورة ذكرى عادل محمود

المحاضرة الثالثة

الاقليم السياسي للدولة

الفصل الأول
الإقليم السياسي والدولة

اولاً. الإقليم الجغرافي والإقليم السياسي

يعَد الإقليم في كثير من الاحيان وحدة الدراسة في الجغرافيا البشرية، في حين ان وحدة الدراسة في الجغرافيا السياسية قد تكون الوحدة السياسية او الدولة. وقد مضى وقت طويل على الجغرافيين السياسيين وهم يعَدون الدولة وحدة الدراسة الوحيدة في الجغرافيا السياسية. ولذلك اقتصرت كثير من الدراسات في الجغرافيا السياسية على تحليل العناصر الجغرافية للدول، حيث يتم تحليل اثرُ العناصر الجغرافية (الطبيعية والبشرية) على قوة الدول، وسياساتها الخارجية، واستراتيجيتها القومية. وقد تقتصر دراسات الجغرافيا السياسية على وحدات سياسية اصغر من الدولة، كالتقسيمات الادارية، والأقاليم السياسية داخل الدول.

وقد ينتهج الباحث في الجغرافيا السياسية منهجا اقليميا عن طريق دراسة الدول والوحدات السياسية، اومنهجا موضوعيا، يركّز من خلاله على دراسة موضوع واحد في اقليم (دولة) او عدة أقاليم سياسية (دول). وتدرس الجغرافيا السياسية العلاقة، وطبيعة التفاعل بين الأرض والسكان والحكومة. ولذلك فان الدراسات الجغرافية للدولة تبدأ عادة بدراسة الصفات الجغرافية الظاهرية للدولة، اي صفاتها الجغرافية الطبيعية والبشرية، ومن ثم تدرس العلاقة الوظيفية بين السكان والدولة، او ما اطلق علية هارتشورن وظيفة الدولة.

والدول هي شكل من اشكال التنظيم السياسي للناس والارض. والدولة موجودة ربما منذ وجد الانسان على الارض ومارس السيادة. وتمارس الدول سيادة مطلقة ضمن حدودها السياسية، غير ان تأثير الدول لا ينتهي حيث تنتهي حدودها السياسية، بل يتعدها الى مناطق ابعد. ويقل التأثير بالطبع مع ازدياد المسافة والابتعاد عن المركز، ولذلك فان مناطق نفوذ

الدول وتأثيرها يتضائل كلما ابتعدنا عن حدودها السياسية. ويرى وزير الخارجية الامريكي الأسبق هنري كيسنجر ان الحكومات تمارس السيادة من خلال القانون والبرلمان والسكان. ونظم السيطرة اما ان تكون ديموقراطية، او دكتاتورية، او ثورية (في طريقها لاقامة الشرعية والديموقراطية).

وبشكل عام فان الحكومات تسعى الى الحفاظ على كيانها، وتنمية مواردها الاقتصادية لتحقيق الرفاه لسكانها. كما تسعى الدول الى حماية اراضيها والدفاع عنها عن طريق اتباع سياسات محدّدة قد تقودها في نهاية المطاف الى استخدام القوة العسكرية، او الحرب. وتعمل الحكومات في الدول الى تنظيم العلاقات بين السكان وتحقيق توافق وانسجام بين عناصرهم المختلفة. ولذلك تسعى الدول الى خلق قومية واحدة من سكان لهم انتماءات مختلفة. وتسعى الى تحقيق ذلك عن طريق تحديد اهداف مشتركة لمختلف فئات السكان في محاولة لجمع شتاتهم وتوحيد جهودهم وتعزيز ارتباطهم وتعاونهم مع الحكومة.

وتدرس الجغرافيا السياسية الدولة لان احد متطلبات قيامها هو الارض او الإقليم الذي هو جزء من سطح الارض. والارض والاقليم الجغرافي هما في الواقع مجال بحث الجغرافيا بشكل عام. والدولة هي مجموعة من الناس منظمين سياسيا على بقعة ارض محددة. وقد لا ينطبق هذا التعريف على الدول التي تقوم في المنفى كالحكومة الفرنسية التي قامت برئاسة ديغول في لندن ابان الاحتلال الألماني لباريس في الحرب العالمية الثانية. وتقوم الدول اما عن طريق الانتخاب الديمقراطي او عن طريق السيطرة العسكرية. والدول هي من صنع الانسان تخلق وتموت بعد ان تكون قد مرت في مراحل محدّدة.

ثانياً. تطور اشكال الحكم

بدأت النظم السياسية بالحكم العشائري، او القبلي، والأقاليم السياسية العشائرية، التي يحميها ابناء القبيلة. ثم تكونت دويلات المدن في بلاد ما بين النهرين واماكن اخرى في العالم. والدول المدن هي الدول الصغيرة التي تتكون في الغالب من مدينة واحدة، وما حولها من

الاراضي الزراعية. ثم تطورت النظم السياسية لتصبح دول اقطاعيات، كتلك الدول التي نشأت في اوروبا في العصور الوسطى، بحيث شكّل كل اقطاعي، او مجموعة من الاقطاعيين، او اصحاب الاملاك والاراضي حكومات ذات سيطرة وسيادة. مثلما قامت الكنيسة بهذا الدور في تلك الفترة.

وعندما توسعت حدود الممالك والاقطاعيات لتضم مساحات شاسعة من الاراضي، وشعوب متنوعة في الاعراق والطوائف والاجناس، اطلق على تلك الحكومات اسم النظم الامبراطورية. والامبراطوريات هي دول ضخمة تنطوي تحت سيطرتها اراضي شاسعة وعناصر بشرية مختلفة تنتمي الى اجناس واعراق واديان وطوائف مختلفة. وقد قامت الامبراطوريات القديمة بقوة السلاح، وبالوراثة والزواج، او بواسطة الاكتشافات والاستعمار كالامبراطورية البريطانية.

وقد جاءت النظم السياسية الاستعمارية لتحل محل النظم الامبراطورية. وهو ما يطلق عليه اسم الامبريالية، ويظهر الحكم الاستعماري عن طريق احتلال اراضي الغير بالقوة، والسيطرة على مقدّرات الشعوب بقوة السلاح. واختفى هذا النوع من نظم السيطرة، الا من بقع صغيرة في العالم: كالمستعمرات الاسبانية في المغرب، والمستعمرات الانجليزية في جزر الفوكلاند، والاستعمار اليهودي في فلسطين. وفي الوقت الراهن استبدلت الدول الاستعمارية، الاستعمار العسكري بنوع آخر من الاستعمار الا وهو الاستعمار الفكري، والاقتصادي لشعوب الدول النامية.حيث سيطرت تلك الدول الاستعمارية فكريا وثقافيا على الدول التي كانت تستعمرها عسكريا. كما سعت الى السيطرة على مقدّراتها الاقتصادية عن طريق ربطها باتفاقيات اقتصادية تمنعها من الاتجار مع الغير. وقد امكنها التحكم بهذه الدول عن طريق بعض القروض والمساعدات المادية والاجتماعية والاقتصادية.

ثالثاً. مراحل تطور الدول

تمر الدول اثناء نشؤها ونموها وتطورها بعدة مراحل هي:

١. مرحلة الانشاء والتكوين، حيث تمتاز الدول خلالها بثبات الحدود السياسية، وتوجهها نحو

تنظيم شؤونها الداخلية. وهي مرحلة تمر بها كثير من دول العالم الحديثة، وخاصة تلك التي لا تمتلك مقومات القوة الاقتصادية والعسكرية. ومن امثلة ذلك دول افريقيا الفقيرة.

٢. مرحلة الشباب والقوة، وهي المرحلة التي تظهر فيها الرغبة لدى الدول في التوسع الخارجي، ومد حدود الدولة على حساب الآخرين. ويتم ذلك بعد ان تكون الحكومات قد انتهت من تنظيم العلاقات الداخلية لسكانها وتعزيز الروابط بينهم. ومن خير الأمثلة التي يمكن ان نوردها في هذا المجال (اسرائيل) التي بعد ان امضت فترة قصيرة جدا للأنشاء والتكوين بدأت فترة شباب وقوة، أصبحت خلالها تسعى للسيطرة على اراضي الدول العربية المجاورة لها وتوسيع مجالها الجغرافي على حساب جيرانها.

٣. مرحلة النضج، وهي مرحلة الاستقرار السياسي والإقليمي للدولة. وتتوقف في هذه المرحلة الرغبة الجامحة لدى الدولة في التوسع والامتداد الجغرافي. وتبدي الدول التي تمر في هذه المرحلة اهتماما في الدفاع عن السلام العالمي ومنع الصراعات والنزاعات الحدودية والإقليمية. والواقع ان كثير من الدول الاستعمارية تمر في هذه المرحلة لرغبتها في الاحتفاظ بما سيطرت عليه من الاراضي والمستعمرات، على اعتبار انها حق مكتسب لها.

٤. مرحلة الشيخوخة، وفيها تبدا عوامل الضعف تدب في الدولة، وتصبح قدرتها على الاحتفاظ بممتلكاتها تضعف، ولذلك تبدا بخسارة الاقاليم والقطاعات الجغرافية لصالح الدول الاخرى التي تمر في مرحلة الشباب. فقد اطلق على الدولة العثمانية في نهاية عهدها اسم الرجل المريض الذي لا يستطيع حماية حدوده ومكتسباته امام التوسع الاستعماري الأوروبي.

والواقع انه ليس بالضرورة ان تمر كل الدول في هذه المراحل جميعها، فقد لا تمر احد الدول في مرحلة ما، وقد تصل بعض الدول الى مرحلة الشيخوخة في فترة زمنية قصيرة قياسا بغيرها. وقد تزول بعض الدول في المراحل البدائية لتكوينها، دون ان تصل الى المراحل الأخرى. وفي المقابل، فقد لا تموت الدول التي تصل الى مرحلة الشيخوخة، بل تتجدد وتبدأ حياتها من جديد، اما بسبب ظهور قيادة قوية تعيد بناء قوة الدولة وتجديد دورتها، او نتيجة لاكتشاف موارد وخيرات جديدة فيها. وهذا يتماشى الى حد بعيد مع نظرية الحياة الدائرية

للدول لابن خلدون. ويرى بعض الباحثين ان دورة الحياة قد تجددّت لبعض دول الخليج العربية عند اكتشاف النفط فيها في مطلع القرن العشرين.

رابعاً. سيادة الدولة

تمارس الدول سيادة مطلقة ضمن حدودها السياسية، وعلى مياهها الإقليمية والداخلية، وفي اجوائها. وقد ضمن مؤتمر باريس الذي عقد عام ١٩١٩ لدول العالم حق المرور البريئ للطائرات في اجواء الدول المختلفة. وفي كثير من الاحيان تكون سيادة الدول على اقليمها الجغرافي منقوصا، اما بسبب عدم اعتراف الدول الاخرى بهذه السيادة، او نتيجة عدم الاتفاق بين الدول المتجاوره على منح السيادة لاحدها على منطقة جغرافية محدّدة. ويتم فرض السيادة عن طريق الاحتلال، او فرض الامر الواقع بعد السيطرة العسكرية على منطقة معينة لفترة طويلة من الوقت. وقد يتم فرض السيادة بواسطة نقل الملكية من دولة لاخرى بموجب اتفاقيات او معاهدات دولية، او نتيجة لقوانين حماية تفرضها الامم المتحدة.

خامساً. القلب الحيوي للدولة

منطقة القلب في الدولة هي منطقة القيادة الاقتصادية، والسياسية للدولة. وهي منطقة التركّز الحضاري والقومي في الدولة، وليس بالضرورة ان يكون ذلك القلب هو في موقع الوسط من الناحية الجغرافية، كما انه ليس بالضرورة ان يكون العاصمة السياسية لها.

وغالبا ما تُعدّ منطقة القلب مركزا لانطلاق فكرة قيام الدولة، حيث انطلقت فكرة قيام الدولة من ذلك الاقليم او المنطقة. من اجل ذلك يشعر سكان تلك الدولة بحبهم وانجذابهم لذلك الاقليم الذي منه بدأت وتكونت فكرة انشاء هذه الدولة. ونجد هذا الشعور عن الروس الذين عادوا لعاصمتهم موسكو، التي احتموا بغاباتها من المغول والتتار، ثم انطلقوا مرة اخرى لتكوين امبراطوريتهم العظمى. ثم احتموا بتلك الغابات التي تحيط بموسكو زمن غزو نابليون عام ١٩١٢، ومرة ثالثة زمن الغزو النازي في الحرب العالمية الثانية.

ومنطقة القلب الحيوي هي منطقة التركز الحضاري والقومي، حيث يسكن قطاع واسع من ابناء القومية التي تشكل الدولة ان كانت تتكون من مجموعة من الاعراق والطوائف. و هي غالبا ما تضم العاصمة السياسية للدولة، غير انه ليس من الضروري ان يحتوي عليها. ويسكن منطقة القلب الحيوي قطاع واعي من السكان، يمتاز بالنضوج السياسي، والتقدم الفكري والوعي الاجتماعي.

ويتمتع القلب الحيوي للدولة بصفة قيادية من الناحية الاقتصادية، فهو بمثابة القلب الاقتصادي للدولة. ففيه تتجمع المنشآت الاقتصادية والاستثمارات التي على اكتافها يقوم الاقتصاد الوطني للدولة. وتضطلع هذه المنطقة في كثير من الاحيان بالدور القيادي في النهوض بالاقتصاد الوطني وتشغيل الأيدي العاملة. وتتجمع فيها رؤوس الاموال التي ترفد الاقتصاد الوطني بما يحتاجه من سيوله مالية.

وتُعَد منطقة القلب الحيوي للدولة أقليم تركّز القيادات السياسية والاقتصادية. ففيه تتجمع قيادات الدولة واحزابها السياسية ومقار منظماتها المختلفة. ويحتوي القلب الحيوي في حالة كونه العاصمة السياسية على البعثات السياسية والدبلوماسية للدول الأخرى. ويشهد معظم الأنشطة السياسية والاقتصادية التي تشهدها الساحة الوطنية.

سادساً. العاصمة والعوامل المؤثرة على اختيارها

هي مركز السيطرة السياسية في الدولة، وتحتضن السفارات، والقنصليات الأجنبية، والوزارات، ومكان اقامة السياسيين. وغالبا ما تقع العاصمة في اقليم القلب الذي تحدثنا عنه، غير ان بعض العواصم انشئت في اقاليم مستقلة كحلول وسط بين الأقاليم الجغرافية في الدولة، ومثال ذلك عاصمة الولايات المتحدة واشنطن التي اقيمت في اقليم مستقل هو اقليم كولومبيا. وكذلك عاصمة استراليا كانبيرا التي اقيمت في اقليم خاص غير تابع لاحد الولايات الأسترالية ومن العوامل المؤثرة على اختيار الموقع الجغرافي للعاصمة:

١. عوامل ظاهرية

والموقع الجغرافي المتوسط بالنسبة للاقاليم الجغرافية، او المجموعات العرقية المختلفة هو أهم العوامل الظاهرية التي يمكن ان تؤثر على اختيار مكان العاصمة. ومن العواصم التي اختيرت لاسباب ظاهرية بعض العواصم الأوروبية كباريس وروما كمواقع متوسطة. وهناك عواصم بديلة اعيد اختيار مواقعها لاسباب ظاهرية مثل مدريد، التي اختيرت في موقع متوسط، واسلام اباد عاصمة الباكستان. وقد تؤدي العوامل الظاهرية الى اختيار عواصم مقسّمة، فاختارت جمهورية جنوب افريقيا بريتوريا كعاصمة سياسية لتوسطها، وكيب تاون كعاصمة اقتصادية بسبب موقعها الساحلي ذي الأهمية الاقتصادية كميناء بحري. وينطبق ذلك على صنعاء وعدن العاصمتين السياسية والاقتصادية لليمن الموحّد.

٢. عوامل تاريخية تقليدية

ترتبط بعض العواصم بمواقعها الجغرافية لأسباب تاريخية، او حضارية مثل: لندن، وباريس، واثينا، وروما. وكثيرا ما تعاني العواصم التقليدية من مشاكل الازدحام والاكتظاظ السكاني. لذلك كثيرا ما تفرض الحكومات قيودا على البناء والانتشار العمراني، وتركّز الانشطة الاقتصادية والسياسية عن طريق تشجيع الاستثمارات خارج العاصمة.

ومن الامثلة على تأثير العوامل التاريخية ما اشرنا له سابقا من اعادة الروس عاصمتهم الى موسكو بعد ان كانت نقلت الى لننغراد. وتمثل تلك العودة رمزا للعودة الى عصر الخير والأزدهار الاقتصادي. ومثل ذلك اعادة العاصمة الهندية من كلكتا الى دلهي عاصمة الهند حتى القرن السابع عشر. ونقل العاصمة التركية من اسطنبول (القسطنطينية) الى انقرة كرمز لابتعاد تركيا عن الارتباط الاسلامي، والعودة الى قلب تركيا كعنوان لسياسة التتريك التي انتهجها كمال اتاتورك الذي تولى الحكم في تركيا عام ١٩٢٣.

٣. عوامل قومية

قد يتم اختيار الموقع الجغرافي للعاصمة اعتمادا على عوامل عرقية او طائفية. فكثيرا ما يتم اختيار موقع العاصمة في موقع التركز الحضاري لمجموعة قومية معينة لها ارتباط وثيق بالدولة وفكرتها، في حين تنظر المجموعات العرقية الأخرى نحو الخارج او نحو الانفصال عن الدولة. ومثال ذلك اختيار موقع العاصمة موسكو في الاقليم الجغرافي للسلاف. واختيار بلغراد عاصمة يوغسلافيا السابقة والحالية في اقليم الصرب الاكثر تأييدا لفكرة الوحدة بين الجمهوريات اليوغسلافية.

٤. عوامل الاتصال التجاري والحضاري

كثيرا ما يتم اختيار العواصم كنقاط اتصال بين الأقاليم السياسية والدول. وفي حالات كثيرة يتم اختيارها في موقع ساحلي مثل ميناء كلكتا الذي اختاره الإنجليز كمركز تجاري يخدم اهدافهم الأستعمارية بالسيطرة على ثروات المستعمرة الهندية. ويمكن ملاحظة ذلك في عواصم الدول الأفريقية التي تقع في معظمها على السواحل لنفس الأسباب. وتقع عاصمة ايرلندا دبلن في موقع اتصال بين الايرلنديين والإنجليز (الانجلو نورمن).

٥. الموقع المتقدم

في محاولة لوقف اي محاولة لتقدم الاعداء باتجاه اقليم الدولة، تقوم الدولة بخطوة نقل العاصمة باتجاه الدولة المعادية. ومن الأمثلة على ذلك استبدال كراتشي العاصمة الباكستانية عام ١٩٦٥، باسلام اباد التي تقع في موقع متقدم باتجاه الهند، في محاولة لمنع الأخيرة من السيطرة على اية مناطق حدودية، وهي محاولة للمطالبة باراضي يقطنها المسلمون في كشمير التي تسيطر عليها الهند. (تُعدّ لاهور العاصمة السياسية للباكستان، فيما تعد اسلام اباد التي تقع في اقصى شمال شرق البلاد العاصمة الاقتصادية).

٦. موقع الحل الوسط

فقد اختيرت العاصمة الاسترالية كانبيرا، وهي المدينة التي لا يزيد عدد سكانها عن ١٥٠ الف نسمه، في موقع وسطي بين مدينتي سدني وملبورن. وقد تم التجاوز عن سدني التي يزيد عدد سكانها عن ٣ ملايين نسمة، واختير موقع كانبيرا تأكيدا من الحكومة على عدم الانحياز لاي من المدينتين، وتعزيز الوحدة الوطنية لأستراليا. ومن الأمثلة على ذلك ايضا اختيار واشنطن في موقع وسطي بين الشمال والجنوب. فقد نقلت الأدارة السياسية من نيويورك، الى موقع اكثر وسطية، في منتصف المسافة بين الولايات ال ١٣ التي شكّلت الولايات المتحدة. كما تم فصلها عن التبعية السياسية لاي من الولايات الثلاثة عشر عن طريق استملاك نطاق خاص بها اطلق عليه نطاق كولمبيا، له ادارة فدرالية خاصة.

كما ادى الصراع العرقي بين الفرنسيين، والإنجليز في كندا الى نقل العاصمة الكندية اكثر من ست مرات منذ قيام دولة كندا. فقد اختارت الحكومة الكندية مدينة كينجستون التي تقع في موقع جغرافي متوسط تقريبا بين اقليم الكويك الفرنسي في جنوب شرق كندا، وبين اقليم الأنجليز في الجنوب الغربي بين عامي ١٨٤١ و ١٨٤٤. ثم نقلت الى مونتريال الأقرب الى اقليم الكويك، بين عامي ١٨٤٤ - ١٨٤٩. ومرة ثانية نقلت الى مدينة تورنتو، الأقرب الى اقليم الإنجليز بين عامي ١٨٤٩ و ١٩٥١. ومرة ثالثة الى مدينة كويبك في قلب الإقليم الفرنسي بين عام ١٨٥١ -١٩٥٥. ثم عادت الى تورنتو بين عام ١٨٥٥ - ١٨٥٩. ومرة خامسة الى كويبك بين عامي ١٨٥٩ و ١٨٦٥. واخيرا استقرت العاصمة الكندية في اوتوا المتوسطة عام ١٨٦٥.

٧. من اجل التخطيط السليم

يتم اختيار العاصمة او نقلها لتسهيل السيطرة على اجزاء الدولة المختلفة، والتقليل من تكاليف اقامة شبكات الاتصال والمواصلات بين العاصمة واجزاء الدولة المختلفة. ومن امثلة ذلك نقل عاصمة ملاوي عام ١٩٦٤ من زومبا Zomba الإنجليزي الى ليلنغويLilongwe

في وسط الدولة. كما نقلت عاصمة الارجنتين عام ١٩٨٦ من بيونس ايرس الى فيدميا لنفس السبب. فقد تم التخطيط المسبق لبناء العاصمة داخل البلاد بهدف جذب انتباه الحكومة للمناطق الداخلية، وزيادة الاهتمام في تطويرها وتنميتها. حيث نقلت العاصمة من بيونس ايرس الساحلية التي تقع على طرف الدولة، الى الداخل. كما ان رغبة الحكومة في التقليل من الازدحام السكاني والاقتصادي في العاصمة القديمة كان احد الاسباب وراء نقلها. ولنفس السبب الأخير نقلت العاصمة البرازيلية من ريو دي جانيرو الى برازيليا. فقد زاد الازدحام وتعاظمت مظاهر الضوضاء والتلوث، وزادت مساحة التجمعات السكانية الفقيرة والأبنية غير المرخصة التي تنتشر في نواحي العاصمة ريو، الأمر الذي دفع الحكومة إلى التفكير في بناء عاصمة جديدة منظمة، وتمتلك البنى التحتية اللازمة في برازيليا.

سابعاً. الاقاليم السياسية المتنازعة السيادة

يحتوي العالم على اقاليم سياسية متنازع على سيادتها بين الدول. وكثيرا ما تخضع الارض والسكان في تلك المناطق الى سيادة مشتركة من قبل دولتين او اكثر. واحيانا تناط مهمة الأشراف والسيادة على هذه المناطق الى هيئة الأمم، او المنظمات العالمية. ومن الامثلة على ذلك ما يلي:

١. الدول المقسمة Divided States

وهي الدول التي تم تقسيمها بين حكومتين لدولتين مختلفتين مثل المانيا التي تم تقسيمها بواسطة الحلفاء المنتصرين في الحرب العالمية الثانية والتي تم اعادة توحيدها عام ١٩٩١. وقد قسمت المانيا بموجب اتفاقية بوتسدام Potesdam الى أقاليم سيطرة انجليزية وفرنسية وروسية وامريكية، انتهت بتقسيم الدولة الى المانيا شرقية (جمهورية المانيا الديموقراطية الاشتراكية) تنطوي تحت لواء وسيطرة الاتحاد السوفيتي، والمانيا غربية (جمهورية المانيا الاتحادية).